الفصل الرابع

المـوت والتـوبة

الموت حقيقة لا يختلف فيها اثنان، لا مسلم مع كافر، ولا طائع مع عاصٍ، ولا ذكر مع أنثى، ولا أسود مع أبيض، ومن رحمة الله بالعباد أن غطى الموت بالأمل، إذ لولا الأمل لبطل العمل، والأمل يشبه إلى حد بعيد جفن العين.

فهذا الجفن على رقته، وخفة وزنه، وصغر حجمه، يغطي عن العين الجبال الراسيات، والعمارات الشاهقات، والأرض والسماوات، فإذا أغلق الجفن على العين لم تعد ترى شيئاً، والأمل مثل ذلك يغطي هذه الحقيقة (الموت) تغطية كاملة، فلا يتذكر الإنسان الموت إلا نادراً.

ومن لطف الله بعباده أيضاً أن بعث لهم في كل يوم دلالة، وفي كل أسبوع علامة، وفي كل شهر آية، وفي كل سنة راية، تدلهم على أن العمر لا بد له من نهاية.

يـا من بدنيـاه اشتغل وغره طول الأمـــل

المــوت حتم لازم والقبر صنــدوق العمل

ففي كل يوم يطلع الفجر، وتشرق الشمس، ويأتِ الضحى، ويسخن الهواء، وتكاد الشمس أن تحرق الخلائق، ثمّ وبعد سويعات: وإذا بالشمس تهوي، والنهار يأذن بالرحيل.

ويأتِ الليل يتهادى، ثم يعم الظلام، ثم يشتد، حتى يظن من لا علم له أن الليل ليس له نهاية، وأن الشمس لن تعود بعدها إلى الإشراق من جديد، وما هي إلا سويعات، وإذا بالليل قد انقضى، والنهار قد انجلى، وسطعت شمس يوم جديد.

فإذا كان العمر يتألف من أيام معدودة، والأيام تنقضي يوماً بعد يوم، فهذا دليل واضح على أن العمر سينقضي بانقضاء أيامه، كجرة الماء المغطاة، تقطر الماء نقطة بعد نقطة، ولا ندري أي نقطة ستكون هي الأخيرة.

ويأتي بداية الأسبوع، ويذهب كلٌ إلى عمله، ثم ينتصف الأسبوع، وبعد أيام ينقضي، ثم يبدأ أسبوع آخر.

ويظهر القمر في بداية الشهر هلالاً، ثم يصبح بدراً في منتصف الشهر، ثم يعود كما كان هلالاً ثم يحتجب عن الظهور مؤذناً بانقضاء الشهر، ليظهر من جديد معلناً بداية شهر آخر.

إذا تم شيء بدا نقصه توقع زوالاً إذا قيل تم

ويأتي الشتاء ويتكاثر المطر، ويشتد البرد، ويحل فصل الشتاء بمطره وثلجه. وصقيعه، ويتلوى الناس من شدة البرد، حتى يتلهفوا على انقضائه، ثم يبتهج الناس بقدوم الربيع، وتورق الأشجار، وتزهر الثمار، فما يلبث أن ينقضي الربيع ويأتي الصيف بحرارته العالية، ويحصد الزرع، ويجف الضرع، وينقضي الصيف ويأتي الخريف، وتتساقط أوراق الشجر، وتبدأ درجات الحرارة بالانخفاض، وينقضي العام، ثم يأتي عام جديد، وهكذا.

يتمنى المرء في الصيف الشتا فإذا جاء الشتا أنكره

فهو لا يرضى ولا يرضى بذا قتل الإنسان ما أكفره

بل قل ما أ ضعفه

والإنسان يولد رضيعاً، ثم ينمو ويكبر حتى يصبح طفلاً، فصبياً، فشاباً، وبعد فترة من وهج الشباب ونضارة القوة، وإذا بالشيب يغزو صدغيه، ثم ينزل إلى عارضيه، ثم ينتشر هنا وهناك، ثم يفقد القوة، ويستند إلى العصا في المسير، ثم يرحل عن هذه الحياة الدنيا،إلى الحياة الأبدية.

أيها الشباب: والله إنه ليس أمامنا سوى ثلاث طرق: فإما مرض مفند، وإما موت مجهز، وإما صحة وعافية، وحياة إلى أن نهرم؛ فلا نستطيع القيام إذا أردنا، أو القعود إذا أحببنا، ثم لابد من الموت.

نُح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح : لتموتن وإن عُمرت ما عمر نوح

فهذا سيدنا نوح عليه السلام عاش(950) سنة يدعو إلى الله، وأربعين سنة قبل النبوة، وخمسين بعد الطوفان، ثم لما جاءه ملك الموت قال له: كيف رأيت الدنيا؟ فقال: كبيت له بابان دخلت من الأول وخرجت من الثاني، فهذا العمر مهما طال فإنه محدود.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

ويحكى أن: ملكاً بنى قصراً مشيداً، جمع له أموالاً طائلة، وفي يوم الافتتاح جمع وجهاء الناس في حفل كبير، فيه ما لذ وطاب من أنواع الطعام والشراب، وخطب بالناس قائلاً: أيها الناس هل ترون عيباً في هذا القصر؟

فقالوا: ومن هذا المجنون الذي سيقول هذا، وقد أشرف عليه أساتذة الفن والزخرفة، والمعمار والهندسة، فوقف أحد العلماء وقال: أيها الملك: إن في هذا القصر عيبان، لا عيب واحد، فصار

الناس يلتفتون يمنة ويسرة وقد أصيبوا بالدوار، ولما هدءوا، قال الملك: وما هما؟ قال: الأول أنه فانٍ، والثاني: أن صاحبه فانٍ أيضاً.

فغضب الملك من كلامه وأمر بسجنه، ثم بشنقه على الملأ في اليوم التالي، وعندما حل الظلام وذهب الملك للنوم، رأى في منامه أنه في فلاة، وأسد كبير يطارده، فهرب أمامه، وإذا بكهف يخرج منه جذع شجرة تين، فدخل الكهف، وإذا به يجد أفعى كبيرة تستطيع أن تبتلع جملاً برأسه، فتسلق الجذع.

ولما دقق النظر وإذا بفأرين أحدهما أبيض والآخر أسود يأكلان بالجذع، وبدأ يصعد إلى الأعلى فوجد قرصاً من العسل فبدأ يأكل منه ويتلذذ بطعمه، ونسي ما فوقه وما تحته، ولما ضعف الجذع هوى فسقط هو في فم الأفعى، فاستيقظ مرعوباً، ونادى على حاجبه وقال:إلي بالعالم؛ إلي بالعالِم، فجاء العالِم من السجن، فقال له الملك، لقد رأيت كذا وكذا فما تفسير ذلك؟ فقال العالم:

أما أنت فابن آدم، وأما الأسد فهو ملك الموت، وأما جذع التين، فهو عمرك، وأما الفأر الأبيض فهو النهار، والأسود هو الليل، فقال الملك:

والأفعى؟ قال: القبر، قال الملك: وقرص العسل؟ قال: قصرك الذي أفنيت به عمرك، وأفقرت بسببه شعبك ، فقال الملك:إشهد أنى تبت إلى الله تعالى على يديك .

فالقبر لا أهول ولا أفظع منه، ويروى عن مَوْلَى عُثْمَانَ _رضي الله عنه_ قَالَ:" كَانَ عُثْمَانُ _رضي الله عنه_ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ فَقِيلَ لَهُ تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)

قَالَ إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ هَذَا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا الْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ".(الترمذي/الزهد:2308.)

تالله لوعاش الفتى في دهره		ألفاً من الأعوام مالك أمره
متلذذاً فيها بكل نفيسـة		متنعماً فيها بنعمى عصره
لا يعتريه السقم فيها مرة لا		كلا ولا خطر الهموم بباله
ما كان ذلك كلـه ليفـي		بمبيت أول ليلة في قبره

نعم، إن كل لذائذ الدنيا مهما كثرت وتنوعت، لا يمكن أن تساوي فظاعة أول ليلة يبيت فيها الإنسان في القبر، فلا بد أن نستعد لهذا اليوم الذي لا بد منه ولا حائل دونه.

تصور يا أخي: لو أن رجلاً كان يمشي في فلاة فسمع صوت عيار ناري، فهرول نحو الصوت وإذا برجل مخضب بدمائه، والى جانبه مسدس، فأمسك بالرجل فوجده ميتاً، ثم أمسك بالمسدس فانطبعت بصماته عليه، وفي هذه اللحظة حضرت الشرطة، وأخذت الرجل والمسدس بعد أن رفعت بصماته عنه، ثم أرسل إلى المحكمة، حلف لهم بأنه بريء لم يصدقه أحد، استنجد بأصدقائه:

فجاء الصديق الأول، فرحب به أشد ترحيب، وأظهر له طاعة واحتراماً نادرين، لكنه بعد قليل خرج من عنده وأغلق الباب وراءه دون أن يفعل له شيئاً سوى الكلمات التي سمعها منه، فندم ندماً شديداً على صداقته، وأسف لثقته به، كل هذه المدة التي مضت.

وبعد قليل جاء الصديق الثاني، فرحب به، وسار معه حتى وصل إلى باب المحكمة، أسلمه للجنود ورجع إلى الوراء وقال له: أنا آسف يا صديقي لا أستطيع أن أكمل معك،وتركه وذهب، وبعد قليل جاء الصديق الثالث، وتبعه إلى قاعة المحكمة، ودافع عنه دفاع المستميت حتى أثبت براءته، وأخذ بيده وخرج من المحكمة فرحاً مستبشراً.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، من أجدر بالصحبة من هؤلاء الثلاثة؟ والجواب بلا تردد: إنه الصديق الثالث.

وكذلك فإن الإنسان في هذه الحياة الدنيا له ثلاثة أصدقاء:

الأول: المال، والمال يطيعك في كل ما تأمره به، فلو أردت أن تدفنه في الأرض، أو تقذفه في البحر، أو تحرقه بالنار، لأطاعك ولما ناقشك بشيء، بل يسمع ويطيع، ولكن إذا مات الإنسان فارقه المال، وصاحب غيره، ونسيه.

أما الصديق الثاني: فهم الأقارب، يظهرون له وداً واحتراماً في حياته، وعندما يموت يغسلونه ويكفنونه، ويرافقونه إلى القبر، فيضعونه فيه ويهيلون عليه التراب، ثم يعودون ويتناولون الطعام عن روحه، بينما هو يُسأل ويحاكم.

أما الصديق الثالث: فهو العمل، فهو الذي يدخل معك، ويدافع عنك إن كان صالحاً، ويشهد عليك إن كان غير ذلك، فاحرص أيها المسكين أن تجعل هذا العمل صالحاً ينفعك حين يتخلى عنك الجميع.

ففي صحيح ابن حبان(ج: 7 ص: 374)عن أنس بن مالك _رضي الله عنه_ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لابن آدم ثلاثة أخلاء:

أما خليل فيقول: ما أنفقت فلك وما أمسكت فليس لك فهذا ماله، واما خليل فيقول: أنا معك فإذا أتيت باب الملك تركتك ورجعت فذلك أهله وحشمه، وأما خليل فيقول: أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت فهذا عمله، فيقول: أن كنت لأهون الثلاثة علي.

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً والناس حولك يضحكون سرورا

فاحرص على يوم تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

وروى الإمام أحمد_رحمه الله تعالى_ في مسنده،بسنده عَنِ الْبَرَاءِ ابْنِ عَازِبٍ قَالَ:

خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)

وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ثُمَّ قَالَ :إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ :

فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ فُلانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِيَ الإِسْلَامُ فَيَقُولانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيَقُولانِ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ:

فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ قَالَ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ قَالَ فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلانُ بْنُ فُلانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ الأعراف: ٤٠ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ الحج31 فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ

مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي فَيَقُولانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ مَنْ الحديث". ...أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ

مسند الكوفيين برقم(18063)، وللحديث بقية.

وما بعد القبر إما جنة، وإما نار، ونار الآخرة أقوى من نار الدنيا بسبعين ضعفاً، ويزداد لهيبها باستمرار:﴿ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧ ﴾ الإسراء [97]، والعذاب فيها مستمر: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾النساء: ٥٦ ،ويجعل الله الجوع يعصر قلوبهم، حتى يستغيثوا فيغاثوا بالضريع والزقوم، فيغصون به ﴿ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ ﴾ المزمل: ١٣

ويتذكرون أنهم كانوا في الدنيا يجيزون الغصة بالماء، فيطلبون الماء، فيؤتى لهم بماء حار، إذا وضع أمام وجوههم سقطت جلدة وجوههم في الماء: ﴿ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ ﴾الكهف لكن لشدة الأمر يشربونه، فيقطع أمعاءهم: ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥ ﴾ محمد: ١٥، فيطلبون البرد، فيفتح لهم باب الزمهرير، فلا يستطيعون احتمال ذلك، فيطلبون العودة إلى جهنم:﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧ ﴾ البقرة:

كل هذا يحصل للإنسان بسبب طاعته لشيطانه، وهوى نفسه الأمارة بالسوء ردحاً من الزمن، ينتهي سريعاً، ولكن عذاب الله باقٍ عليهم إلى الأبد.

وأما الذين يدخلون الجنة، فيكفيهم أنهم زحزحوا عن النار بداية:

﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾ آل عمران: ١٨٥

، وتأمل معي كلمة (زُحْزِحَ) فهو لم يبتعد عنها بسهولة، أما نعيم الجنة، ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر:

﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ السجدة: ١٧

ويقول_صلى الله عليه وسلم_ ...مَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا " (البخاري 2892).، وهذا النعيم المقيم دائم لا ينقطع﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨ ﴾ الحجر: ٤٨ ، وأعظم من هذا وذاك، فوز أهل الجنة برضا الله تعالى:

﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾ التوبة: ٧٢

وكذلك لذة النظر إلى وجهه الكريم، يقول _صلى الله عليه وسلم_ :" إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ) (مسلم 181")كما أنهم يجاورون الحبيب المصطفى_صلى الله عليه وسلم_ في الجنة:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ النساء: ٦٩

، وهؤلاء هم الرفقاء الأعلون وأنعم بها من رفقة.

وهذا كله لا يكون إلا بحسن العمل، وإخلاص النية لله، فلنحسن العمل ونخلصه لله علنا ننجو من عذاب الله تعالى أولاً، ثم ندخل الجنة ثانياً، ونجاور المصطفى صلى الله عليه وسلم

ثالثاً، والأهم من هذا كله أن نفوز برضا الله تعالى، ونتمتع بلذة النظر إلى وجهه الكريم.

ولنعلم بأن هذه الدنيا هي مزرعة الآخرة، فلم نخلق فيها للهو واللعب، ولا لارتكاب ما يسخط الله، بل العمل بكل ما يرضي الله سبحانه وتعالى. وكل ما أعطينا فيها فهو ودائع تسترد وما المال والأهلون ألا وديعة : ولا بد يوماً أن ترد الودائع وهذا غيض من فيض، عن أحوال

الآخرة، وما بعد الموت، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب الله عز وجل، وكتب التفسير، والأحاديث النبوية الشريفة، وكتب العلم الأخرى.(وأنصح بقراءة كتاب "التذكرة" للإمام القرطبي–رحمه الله–فإنه مفيد بهذا الجانب)، ولننتقل إلى الموضوع الآخر الملتصق بهذا الموضوع، وهو موضوع:

التـوبة

عرفنا فيما سبق أن الموت حق، ولا بد من الرحيل عن هذه الحياة الدنيا، لنستقر في الدار الآخرة التي جعلها الله دار القرار:﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ ﴾ غافر: ٣٩

وما دام الأمر كذلك، فلا بد من العمل والاستعداد لمرحلة ما بعد الموت، ويكون ذلك باتجاهين:

الأول: إنقاص السيئات، والثاني: زيادة الحسنات؛ لأن من زادت سيئاته على حسناته أفلس يوم القيامة، كمن بنى بيتاً بألف، واستدان عليه ألوفاً.

فقد روى الإمام مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ".(مسلم2581).

والتوبة هي التي تنقص السيئات، بل وتهدمها من أساسها، وربما تستبدلها بالحسنات، وذلك بحسب صدق التوبة، والاستقامة بعدها.

ومن شروط التوبة: الإقلاع عن المعصية. و الندم على ما فات و العزم على أن لا يعود إليها.

فإن عاد إلى المعصية مرة أخرى، عاد للتوبة من جديد، وإذا كانت المعصية تتعلق بحقوق العباد، فلا بد من إعادة الحقوق إلى أصحابها؛ سواءً أكان هذا الحق مادياً أو معنوياً.

وإن الله ليفرح بتوبة العبد،كما مر معنا :" ومهما كانت الذنوب، فإن مغفرة الله أوسع منها، فقد أخرج الإمام مسلم بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ: لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأرضيين فَإِلَى آيتهما كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ".(مسلم:2581.)

وأمام هذا الكرم الإلهي لا يهلك إلا من أراد الهلاك، وأبى أن يدخل الجنة بتعنته، ومكابرته، وعدم إذعانه لأوامر الله تعالى، وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم الذي قال" كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى ".(البخاري:7280)

ومجال التوبة مفتوح في أي وقت وحين، ولا يحتاج العبد إلى واسطة، بل متى توجهت إلى الله بقلب خالص ونية صادقة إلى الله وعاهدته على التوبة يتقبلها الله فوراً إلا في حالتين:عند الاحتضار ووصول الروح إلى الحلقوم، والغرغرة بها،,وعند طلوع الشمس من مغربها. قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ ﴾ النساء17: ويقول صلى الله عليه وسلم:"إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا "مسلم /الذكر:2759، وقال أيضاً: " إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ "الترمذي /الدعوات:3537.

ولهذا لا بد للإنسان العاقل أن يبادر إلى التوبة سريعاً، إذ أن الموت أقرب إلى الإنسان من جفن العين، ولا يقتصر على سنٍّ معينة، فكم جد عجوز صلى صلاة الجنازة على حفيده، وكم من شاة سبقت أمها إلى المسلخ.

يحكي بأن رجلاً من أهل الصلاح–ولعله مالك بن دينار–وعد الناس أن يروي لهم قصة توبته، فلما اجتمع الناس، أقبل عليهم بوجهه ثم قال: لولا أنى وعدتكم لما حدثتكم:

عندما كنت شاباً تزوجت امرأة أعجبتني فولدت لي بنتاً ملكت علي شغاف قلبي، وبعد مدة توفيت زوجتي، ثم تبعتها ابنتها، فهمت على وجهي، أشرب الخمر، وأسير في البرية كالمجنون.(وهذا ما يحدث للذي لا يعرف معنى الصلاة، ولا حكمة المصيبة وفضل الصبر عليها).

وذات ليلة رأيت في منامي أن القيامة قد قامت، وإذا بوحش يطاردني، فهربت منه، فوجدت في طريقي شيخاً هرماً فاستنجدت به، فقال لي: لا أستطيع، ولكن توجه إلى هذه الجهة، فتوجهت إلى حيث أرشدني، وإذا بابنتي تقف في قصر جميل، ولكن بيني وبينها واد سحيق، وكل من فيه يقولون: أفٍ لسوف، فناديت علي ابنتي: إلي يا أبي إلي يا أبي، فوقفت مقابلها،

وقلت لها: أي بنيتي ماذا حصل للدنيا؟

فقالت: لقد قامت القيامة يا أبي،

فقلت لها: وما هذا الوحش الذي يطاردني؟

قالت:هذه ذنوبك يا أبي سمنتها حتى أصبحت وحشاً كاسراً يطاردك،

فقلت: فمن هذا الشيخ الهرم؟

قالت: هذه أعمالك الصالحة أهملتها حتى أضعفتها، فلم تقدر على حمايتك،

قلت: فأين أنت؟

قالت:في قصور الجنة، قلت: فما هذا الوادي السحيق؟ قالت: هذا وادي التسويف، يأتي الإنسان ليتوب، فتقول له نفسه:

لا زلت شاباً، سوف تتوب مستقبلاً، ويأتي ليهتدي فيقول له شيطانه، تمهل سوف تتوب، ولكن بعد قليل، تمتع الآن ثم تتوب عن كل شيء جملة واحدة،

فقلت لها: خسرناك في الدنيا يا بنيتي، فقالت: يا أبي: خسرناك في الدنيا، فإياك أن نخسرك في الآخرة، يا أبت تب إلى الله، فتبت إلى الله أمامها، فلما أصبحت سألت العلماء عن أفضل طريقة لملء عمري بالخير، فعلمت أنها العلم، والعمل، والدعوة، والدعاء، والصبر على ذلك كله ابتغاء وجه الله تعالى،

فسرت على هذا حتى أصبحت إماماً لكم.فيا أيها الناس توبوا إلى الله، فقال الحاضرون: تبنا إلى الله، ثم قال: يا أيها الناس توبوا إلى الله،

فقال الحاضرون: تبنا إلى الله، وهكذا حتى أصبح الصباح، فسمي المسجد الذي حصلت فيه هذه الحادثة مسجد التوابين[1].

فإياكم أخوتي في الله من التسويف، فالشيطان لا يزال يسوف، والنفس تمهّل حتى يأت الموت، ويتمنى عند ذلك التوبة، و لات حين مناص، فيصدق فيه قول الله تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المؤمنون

وهكذا يبقى يقول: رب ارجعون...رب ارجعون إلى يوم القيامة، كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله:

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ فاطر: ٣٧

فيجيبهم الله تعالى بقوله:

أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ فاطر: ٣٧

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ومن المبادرين بالتوبة قبل فوات الأوان، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الأسئلة والمشاركات:

س1: كيف يتعامل الناس مع الموت؟

ج1: الحياة الدنيا هي ميدان يثبت فيه الإنسان مقدرته على عمل الصالحات، واجتناب السيئات، فالدنيا مواقف، ولكل موقف علامة، فمنهم المتفوق ومنهم الراسب:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأحقاف: ١٩،

وبما أن الحصاد يأتي في كل سنة، فإن الموت يأتي لكل جيل، ولولا الموت لامتلأت الدنيا بالعجزة، والأرض بالحصاد.

والناس متفاوتون في تعاملهم مع الموت، فجميع الناس ينظرون إلى الموت على أنه هادم اللذات، فمنهم من يحاول أن يسبق الموت إلى ملذاته، ويقطف منها ما استطاع دون النظر إلى حلٍّ أو حرمة، ومنهم من يزهد بالدنيا ينظر إلى الموت على أنه سيذهب بكل شيء، فلماذا العمل والبناء، ويجلس على الرصيف ينتظر قدوم الموت.

---

(1) هذا المسجد موجود بالكوفة بالعراق، وهناك مسجد أخر يسمى بهذا الاسم في حمص بسوريا.

ولكن الإسلام لا يريد منا لا هذا ولا ذاك، فحكم هذا الدين لا تفنى وعجائبه لا تنقضي، ولا بد من الموازنة بين الأمرين حتى تستمر الحياة، يقول تعالى ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾ القصص: ٧٧

وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه:" احرز لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا "([2]). وفي رواية أخرى لعبد الله بن عمر بن الخطاب يقول((احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا))([3])

ويحكى : أنه بينما كان أحد الملوك يسير في موكبه متجبراً، متكبراً، وإذا برجل يعترض الموكب، ولم يستطع الحراس إبعاده عن الطريق، ونادى على الملك قائلاً:

أريد أن أهمس في أذنك بسر خطير، فقال الملك: دعوه، فدنا منه وهمس في أذنه قائلاً: أنا ملك الموت، وأريد أن أقبض روحك الآن، فبدأ يتوسل إليه: دعني أصلي ركعتين لله تعالى، دعني أتوب، دعني أفعل الخير، فلم يستجب له، وقال أمرت ألا أفارقك إلا بعد قبض روحك،

ثم مرعلى رجل آخر يركب على فرسه، فأوقفه وقال له: أنا ملك الموت، فقال له الرجل: مرحباً بك، فقال له: جئت لأقبض روحك، فقال: عجل بقبضها، فإنني على وضوء، وأديت الصلاة لتوي، وأنا صائم، وعائد من زيارة أرحامي، وإني مسافر، وأخاف إن تأخرت أن يأتي ما يصرفني عن فعل الخير.

إذا لم يكن من الموت بد فمن العار أن تموت جباناً

وكذلك إذا لم يكن من لقاء الله بد، فمن العار أن تلقاه وأنت عاصياً. ومن هنا عرفنا كيف يكون الاستعداد للموت من خلال هذين الأنموذجين.

ويحكى أن: رجلا حملته الأيام إلى قرية فوجدها مضطربة لأنهم لم يجدوا من يحكمهم بعد ذهاب ملكهم؛ لأن مدة الحكم عندهم خمس سنين فقط، بعدها يضعون الملك على حمار، ويذهبون به إلى الغابة المملوءة بالسباع .

هنا وافق هذا الغريب على استلام المنصب الخالي، وبدأ يعمل بكل طاقته بإرسال خاصة حراسه ومقربيه؛ لكي يقطعوا الأشجار ويقتلوا الحيوانات المفترسة ويزرعوا الأشجار المثمرة .

---

[2]) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (983/2).

[3]) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(314/13).

وحين انتهت المدة، وأرادوا أن يرسلوه إلى الغابة وجدوها في أحسن حال هنا عرفوا أن هذا الإنسان رجل صالح مصلح فملكوه عليهم.

س2: عرفنا أن من شروط التوبة إعادة الحق إلى أصحابه، فمن سرق أو زنا كيف يعيد الحق إلى أصحابه؟

ج2: الزنا كشرب الخمر هو ذنب بينك وبين الله تعالى، وليس من الحكمة، أو من الدِّين أن تذهب إلى وليّ من زنيت بها لتخبره بذلك بعد أن ستر الله عليك، فإنه سيزيد الأمر تعقيداً، ولن يجد السماح، بل سيجد ما يكره، فلا يطلب من الزاني أن يطلب المسامحة من البشر، ولكنه بحاجة إلى طلب المسامحة والغفران من رب البشر، الذي ستر عليه في الدنيا، وسيغفر له إن شاء الله، إذا صدق في توبته مع الله. وقد أرشدنا صلى الله عليه وسلم إلى محاولة دفع الحدود بالشبهات لقوله صلى الله عليه وسلم ((إدرأوا الحدود بالشبهات))

ولنا عبرة في قصة ماعز و الغامدية التي رواها لنا الإمام مسلم في صحيحه ج: 3 ص: 1322 قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله طهرني فقال: ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أطهرك فقال من الزنى فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبه جنون فأخبر أنه ليس بمجنون فقال أشرب خمرا فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أزنيت فقال نعم فأمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين قائل يقول لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده ثم قال اقتلني بالحجارة قال فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال استغفروا لماعز بن مالك قال فقالوا غفر الله لماعز بن مالك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم قال ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت يا رسول الله طهرني فقال ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه فقالت أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك قال وما ذاك قالت إنها حبلى من الزنى فقال آنت قالت نعم فقال لها حتى تضعي ما في بطنك ..الخ ([4])

[4]) (راجع إن شئت كتابي 5مقالات :حتى يكون للجهاد معناه/فصل :الحدود لماذا).

أما السرقة فيجب رد العين المسروق أو مثله إلى صاحبه، وطلب المسامحة منه، والتوبة إلى الله واستغفاره، فإن لم يكن معه شيء يرده إلى صاحبه انتظر حتى يجعل الله له من أمره يسراً، فإن خاف الفضيحة، وظن أن صاحب المال المسروق لا يسامحه ولا يقبل اعتذاره، احتال حتى يرجع إليه المسروق أو ثمنه دون أن يشعر به.

إذ قد لا يقدر بعض الناس قيمة التوبة، وتراه يسكت على غلبه طول العمر، فإذا جاءه التائب يرد إليه حقه، فضحه على رؤوس الأشهاد، بحيث لا يجعل له مجالاً لأن ينخرط في المجتمع من جديد، وأن يكون عضواً فاعلاً فيه، فلا يجوز التشهير بالناس، فإن الله حليم ستير يحب الستر.

فإذا عرفت بأن صاحب الحق من هؤلاء الذين سيشهرون بك، فالأولى أن تجد طريقة تعيد إليه بها حقه دون أن تكشف عن هويتك، وأما إن كان من أهل الصلاح، فإنه سيقدر موقفك، وسيقف إلى جانبك، ويساعدك على التوبة النصوح.

س3: إنسان لديه عادة سيئة يصعب عليه التخلص منها، ولكنه يريد الصلاة فماذا يفعل؟

ج3: العادة السيئة مهما كانت فإنها لا تمنع من أداء الصلاة، بل إن الصلاة لا تزال بصاحبها حتى يقلع عن جميع العادات السيئة، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، واستمع معي إلى هذه القصة الواقعية:

يحكى أن رجلاً اعتاد على شرب الخمر، وعندما توفي غسلته امرأته، وكفنته، ثم استأجرت أربعة عمّال ليحملوه، وقالت لهم: احملوه إلى المقبرة المجاورة للمسجد، فإن جاء من يصلي عليه فبها ونعمت، وإلا فادفنوه كما هو.

فجاء إمام المسجد للصلاة عليه، فقال الناس: لسنا أعلم من شيخنا[5]، فصلوا عليه وشيعوه، ثم دفنوه، وبعد أن رجعوا جاء الشيخ إلى بيته يحمل المتاع الذي يرجع من وراء الميت[6]، فأعطاه لزوجة الميت، ثم سألها قائلاً:

أي بنيتي أريد أن أنشدك بالله ماذا كان يفعل زوجك، وماذا كان حاله، قالت: تعلم أنه كان مدمن خمر، قال: أعلم ذلك، ولكن ماذا كان حاله في آخر أيامه، فقالت:

قبل أن يموت بشهرين، كان يأتي إلى البيت بعد منتصف الليل، وحين يصحو من سكره، يقوم فيغتسل، ويتوضأ، ويلبس ثياباً جديدة، ويقضي ما فاته من صلوات، ثم يجلس يقرأ القرآن، ويبكي حتى

---

(5) إذا كان الأمر فيه لبس، فالأولى الاقتداء بالشيخ، وأما إن كان الأمر واضحاً لا لبس فيه، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

(6) مسكين يا ابن آدم، حتى الفراش والغطاء لا تأخذه معك، ويرجع من وراءك ولا يبقى معك سوى عملك، فويل لك إن لم تعمل لآخرتك، عندها (يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) (الفجر:24)

يطلع الفجر، فيصلي الفجر وينام حتى الظهيرة، فيخرج من البيت، ويعود بعد منتصف الليل سكراناً، وهكذا، لكنه قبل أن يموت بوقت قصير تاب توبة نصوحا، ولزم العبادة، وقراءة القرآن.

فقال الشيخ: ابشري، فوالله ما كنت راغباً في الصلاة عليه، ولكني رأيت رسول الله _في المنام– ص يصلي عليه، فصليت عليه.

أرأيت يا أخي المسلم كيف أن الصلاة لم تزل بصاحبها حتى تاب عن عادته السيئة؟ ثم أرأيت إلى هذا المجاهد لنفسه، كيف نصره الله عليها:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٩

'والجهاد كما تعلمون أنواع كثيرة: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام،وأرجو أن أنبه إلى أن الرؤيا لا تلزم حكماً شرعياً، ولا تحل حراماً، ولا تحرم حلالاً، وهذا موجود

في بحث: "الرؤيا والأحلام"من كتابي خمس حقائق إيمانية(بحمد الله تعالى)

مع العلم أن الصلاة على الميت في مثل هذه الحالة تجوز.

ويروى أن شاباً كان من المحافظين على الصلاة، فذهب إلى بلاد الغرب للدراسة أو العمل، وهناك ابتلي بالزنا، لكنه لم يترك الصلاة، فوقع في تناقض وحيرة مع نفسه، فترك الصلاة فترة من الوقت، فما زالت الصلاة التي تعود عليها تشده، حتى أقلع عن الزنا وتاب إلى الله وعاد إلى صلاته، فأجرى الله الخير على يديه.

أرأيت كيف بقي يحن إلى الصلاة التي كان قد تعود عليها؟

فإن الذي يترك التدخين يبقى مشدوداً إليه مع علمه بأنه عدو له ولصحته، فكيف بالصلاة التي كلها خير وبركة وطمأنينة؟ :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨ نقول هذا مع فارق التشبيه.

-مشاركة(1)من كتاب جامع العلوم والحكم ج: 1 ص: 164

وخرج الطبراني بإسناد ضعيف عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء حبيب بن الحارث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني رجل مقراف للذنوب قال فتب إلى الله عز وجل قال أتوب ثم أعود قال فكلما أذنبت فتب قال يا رسول الله إذا تكثر ذنوبي قال فعفو الله أكثر من ذنوبك يا حبيب بن الحارث وله شواهد

مشاركة(2)قصيدة من الغريب؟

ليس الغريب غريب الشام واليمن ... إن الـغريب غريب اللـــحد والكفن
إن الــغريب لـــه حـــق لغربتـــه ... على المقيمين في الأوطان والسكن
لا تنهرنّ غــريباً حا ل غربتـــه ... الــدهر ينهره بــالذل والمحـــــن
سفري بعـــيد وزادي لــن يبلغني ... وقوّتي ضعفت والمـــوت يطلبـني
ولي بقايا ذنـــوب لست أعلمـها ... الله يعلمهـــــا في السر والعلــن
وقد تيقنت لا مـــــالاً ولا ولــداً ... ولا حبيباً إذا مـــــا مت ينفعـني
تمر ساعات أيامي بلا نـــــدم ... ولا بكـــــاء ولا خوف ولا حـزن
أنا الذي يغلق الأبـــواب مجتهداً ... على الـمعاصي وعين الله تنظـرني
ما أحلم الله عني حيث أمهلـــني ... وقد تمـــاديت في ذنبي ويستـرني
دنا الرحـيل لنفسي قلت يا أسفـــاً ... كيف الرحـــيل وذنبي قد تقدمني
يا زلة كتـــبت في غفلـــة ذهـبت ... يا حســـرة بقيت في القلب تحرقني
دع عنك عذلي يا من أنت تعذلنـي ... لو كنت تـــعلم ما بي كنت ترحمني
دعني أنوح على نفسي وأنـدبها ... وأقطع الـــدهر بالتفكير والحـزن
كأنني بين مستلق ومضطـــجع ... كأنني ورسول المـــوت يطلبـني
وقد أتوا بطبيبي كي يعالـجـنـــي ... ولا أراني طبيب اليـــوم ينفعـني
واشتد نزعي وصار الموت يجذبـها ... من كـــل عرق بلا رفق ولا هـون
واستخرج الروح مني في تغرغـرها ... وصار ريـقي مريراً حين غرغـرني
وسل روحي وظل الجسم منطرحـاً ... على الـــفراش وأيديهم تقبلـني
وغمضوني وراح الكل وانصرفـوا ... بعد الإيـاس وجدوا في شرا الكفن
وسار من كان أغلى الناس في عجل ... نحو المغـسل يـأتيني ليغســلـني
فجاءني رجل منهم فجـــــردني ... من الثيـاب جميعاً ثم أرقـــدني
وأسكب الماء من فوقي وغســلني ... غسلاً ثلاثاً ونـادى القوم بالكفـن
وألبسوني ثياباً لا كمـــــام لـها ... وصار زادي حنوطاً حين حنطـني
وأخرجوني من الدنيا فيا أسفـــا ... على رحـــيل بلا زاد يبلغـــني
وحملوني على الأكتاف أربعـــة ... من الرجـــال وخلفي من يشيعـني
وقدموني على المحراب وانصرفوا ... خلف الإمـــام فصلى ثم ودعـــني
صلوا عليّ صلاة لا ركـــوع لها ... ولا سجود لـــعل الله يرحمـــني
وأنزلوني إلى قبـــري على مهـل ... وقدموا واحـــداً منهم ليلحـــدني
وكشّف الثوب عن وجـهي لينظرني ... وأسدل الدمـــع من عين وقبلـــني
وقال أهيلوا عليه التراب واغتنموا ... حسن الثـواب فكل الناس مغتنمي
في ظلمة القبـــر لا أم تصاحبـني ... ولا رفيـق بذاك اللحد والكفـــن
من منكر ونكـــير ما أقـول لهم ... قد هالـــني أمرهم جداً فأفزعـــني
وأقعدوني وجـــدوا في سؤالهـم ... مالي ســواك إلهي من يثبتـــني

فامنن علي بعفو منك يـــــا أملـي ... وامنن علـــى تارك الأولاد والوطـن
تقاسم الأهل في الميراث وانصرفوا ... وصار وزري على ظهري يثقـــلني
واستبدلت زوجي بعـلاً لها بدلـــي ... وحكمته على الأمـــوال والسكـــن
وصيّرت ولدي عبـداً ليخدمـــــــه ... وصار مالي لهم حلاً بـــلا ثمـــــن
فلا تغرنك الدنيا وزخرفـــــــــها ... انظر لأفعالها في الأهل والـــوطـــن
انظر إلى من حوى الدنيا بأجمعـها ... هل راح منها بغير القطن والـــكفن
خذ القناعة من دنياك وارض بـــها ... لو لم يكن لك إلا راحـــــة البـدن
يا زارع الخير تحصد بعده ثمـــراً ... يا زارع الشر موقوف على الـوهن

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ المؤمنون:

س4: كيف يكون عذاب القبر؟

ج4: لو أردنا أن نفتح القبر على صاحبه، فعلى الأغلب أنا لا نرى شيئاً، ولكن هذا لا يمنع من كون الميت ينعم، أو يعذب، ولتوضيح ذلك أقول:

حين يكون الإنسان نطفة في رحم أمه، فلو قدر لنا أن نتحدث معه، وقلنا له: إن هذا الكون الرحب الذي يعيش فيه، ما هو إلا جزء من جسم أمه، وأن هذا الجسم يأخذ مساحة يسيرة من مساحة البيت الذي تسكن فيه الأم، فإنه يندهش، وإذا قلنا له:

إن هذا البيت هو جزء من مدينة تحتوي على آلاف البيوت كبيت أمه، فيها آلافاً مثل أمه، وهذه المدينة جزء من دولة، فيها عدد كبير من المدن كمدينة أمه، وأن هذه الدولة جزء من قارة، والقارة جزء من الكرة الأرضية، وأن سكان الأرض ملايين الملايين بمثل حجم أمه، فربما انفجر عقله لعدم استيعاب الأمر، وحين يقال للكافر: إن جنة الله عرضها السماوات والأرض، فإنه لجهله لا يصدق.

ولو أن اثنان ينامان في غرفة واحدة، فأيقظنا الأول، فقال جزاكم الله خيراً لإيقاظي؛ لأنني كنت في كابوس مرعب، ثم أيقظنا الثاني، فقال: سامحكم الله، لم أيقظتموني؟ لقد كنت في حلم جميل.

فبالرغم من أن الاثنان ينامان في نفس الغرفة، كان أحدهما في نعيم والثاني في جحيم، ولكن شيئاً لم يظهر لنا لا من النعيم ولا من الجحيم، ولو أن حريقاً شب في مستشفى ما، فإن نزلاء هذا المستشفى سيهربون بالرغم مما يعانونه من آلام وجراحات، لكن من كان منهم مشلولاً، فلا يستطيع

مغادرة مكانه مع أنه يرى الخطر بأم عينه، وكذلك فإن الذي ماتت عنده خلايا الأوامر فلا يستطيع الحركة.

وعندما يحتضر الإنسان وتخرج روحه، فإن من حوله لا يرون ملك الموت الذي قبض الروح، ولا يرون الروح حين خرجت، وبرغم كل المحاولات لإنقاذه إلا أنه فارق الحياة:﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الواقعة: فعذاب القبر حقيقة، ولكنها خافية على الثقلين، كما أخبرنا النبيصلى الله عليه وسلم عن أول ساعات العبد في قبره فقال:

" الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ"[7] .

(قصة للعبرة): بينما أعرابي يسير مع رفاقه في قافلة، إذ ماتت ناقته، فجلس يبكي، فقال له مسؤول القافلة: كنت أعرفك رجلاً عاقلاً وحكيماً، فكيف تبكي على ناقة؟

فقال: والله ما أبكي على الناقة، ولكني تفكرت في ناقتي التي كانت تحملني وتحمل أمتعتي، ما الذي نقص فيها حتى أصبحت لا تستطيع أن تحمل نفسها، أو تحرك رأسها؟

إنه السر الإلهي، إنه الروح :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥.

وكذلك فنحن نتعامل مع المغنطيس ولا نعرف كنهه فكيف بالروح؟؟

مشاركة(3): إذا كان الإنسان في هذا الزمان يتحكم بأمور تبعد عنه آلاف الأميال، فإذا أعطى أمراً بإرسال برقية إلى بلد ما تجد الآلة في ذلك البلد تكتب هذه البرقية بكل دقة وأمانة، كما كتبها هو هنا، كما أن المركبة الفضائية على سطح القمر تستقبل الأوامر من الإنسان على الأرض وتقوم بتنفيذها، فما بالك بقدرة خالق الأكوان، الذي خلق الكون وخلق الإنسان، والحيوان وكل المخلوقات الأخرى؟بل إن هناك مركبة أرسلت قبل أربعة عشر عاماً في الفضاء لازالت تستقبل الأوامر من الأرض.

---

(7) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز برقم(1338). فهناك صفارة لا يسمعها إلا الكلب؛ لأنها تستعمل ذبذبات غير التي نستعملها، فمن المعروف أن الذبذبات التي تستطيع الأذن البشرية التقاطها هي مابين 30-30000 ذبذبة في الثانية.

مشاركة(4): قرأت في كتاب إثبات عذاب القبر للإمام البيهقي حقائق كثيرة عن عذاب القبر، تحقيق الدكتور الشيخ شرف القضاة، وهو كتاب مفيد أنصح إخواني بقراءته، فقد ذكر فيه خمس آيات تتحدث عن عذاب القبر، وأورد فيه من الأحاديث النبوية (240) حديثاً، عن(39) صحابياً، منها(73) مخرجة في الصحيحين أو أحدهما،

وقد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن عذاب القبر حق، ورد على بعض الفرق الضالة التي تنكر عذاب القبر. وانظر معي إلى قوله تعالى عن قوم نوح﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥ ﴾ نوح: ٢٥،فالفاء هنا كما يقول علماء اللغة، أنها للترتيب، أي أنهم بعد الغرق مباشرة أدخلوا ناراً وهي نار القبر، وأوضح من ذلك قوله تعالى عن قوم فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾ غافر

فعرضهم على النار غدواً وعشياً حسب سياق الآية يكون قبل يوم القيامة، لأنه قال بعدها﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾فالعرض بالغدو والعشي هو عذاب القبر، ويوم القيامة يأمر الله ملائكته أن تدخلهم أشد العذاب.كما أن قوله تعالى:﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣ ﴾ الأنعام: ٩٣

فالآية تتحدث عن الظالمين وهم في سكرات الموت، وقال: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ ﴾ ولم يقل يوم القيامة، فهذا دليل على أن العذاب سيأتيهم بمجرد خروج الروح وهو عذاب القبر والله تعالى أعلم.

وحينما قتل صاحب يس لكونه أمن بالمرسلين أخبر عنه تعالى بأنه﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ ﴾ يس

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ﴾ آل عمران

مشاركة: حقيقة فإن النعيم والعذاب الحقيقيين هما في الآخرة صحيح مسلم (2807) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم((يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا بن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا

في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا بن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط))

والحمد لله رب العالمين